عيسى عليه السلام في منظور الاديان السماوية

مفهوم مشترك وتفاوت في التفسير

"دراسة مقارنة"

د. علي عبدالباسط عبدالكريم

كلية الإمام الاعظم/نينوى

Jesus (peace be upon him) in the Perspective of the Abrahamic Religions

A Shared Concept and Divergence in Interpretation

A Comparative Study

Dr. Ali Abdulbasit Abdulkarim

College of Al-Imam Al-A□zam / Nineveh

Ali.abdalb86@gmail.com

٠٧٧١٥٥٤٥٥٨٦

الملخص

يتناول هذا البحث شخصية عيسى عليه السلام في منظور الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، بوصفه شخصيةً محورية ذات حضور عقدي وتاريخي بارز، ويسعى إلى بيان أوجه الاتفاق بين هذه الديانات في الإقرار بمكانته الرسالية أو الدينية، مع إبراز مواطن الاختلاف في تفسير طبيعته، وصفته، ففي حين تؤمن المسيحية بألوهيته وتجسّده، ترى اليهودية أنه شخصية تاريخية لا تنطبق عليها دعوى النبوة أو الرسالة، أما الإسلام فيقرّ بنبوته ورسالته ويؤكد بشريته وينفي عنه

الألوهية. ومن خلال المنهج المقارن، يحلل البحث النصوص المؤسسة في كل دين، ويقارن بين الرؤى العقدية والتفسيرية، للكشف عن مفهومٍ مشترك يتمثل في الاعتراف بشخصه، مقابل تفاوتٍ جوهري في فهم حقيقته ومكانته.

(عيسى عليه السلام ـــــ العهد القديم ـــــ المسيحية ـــــ الإسلام ـــــ المصادر الدينية)

Abstract

This study examines the figure of Jesus (peace be upon him) from the perspective of the three Abrahamic religions—Islam, Christianity, and Judaism—considering him a central personality with significant theological and historical presence. It seeks to clarify the points of agreement among these religions in acknowledging his prophetic or religious status, while highlighting the areas of divergence in interpreting his nature and attributes,While Christianity affirms his divinity and incarnation, Judaism regards him as a historical figure to whom the claim of prophethood or divine mission does not apply. Islam, on the other hand, affirms his prophethood and message, emphasizes his humanity, and rejects any attribution of divinity to him. Through a comparative methodological approach, the study analyzes the foundational texts within each religion and examines their theological and exegetical perspectives to reveal a shared recognition of his person, alongside substantial differences in understanding his true nature and status.

Jesus, peace be upon him - The Old Testament - Christianity - Islam - The Foundations of Faith)

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وحده تتحقق جلائل المهمات، وعليه وحده الاتكال في جميع الملمات، وبعد:

تُعدّ الرحلات التي تندرج ضمن سِيَر الأنبياء وقصص الرسل الواردة في القرآن الكريم من أسمى الرحلات شأنًا، وأعلاها قدرًا، وأكثرها إشراقًا من حيث الدلالة والمعنى، لما تحمله من أبعاد عقدية

وتربوية وفكرية عميقة، وأثناء البحث في هذا المجال، تبيّن وجود جملة من الالتباسات والتصورات المخالفة لما ورد في الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه عليهم السلام، إذ تسللت إلينا مفاهيم غير دقيقة نتيجة التحريف أو إغفال بعض الجوانب الجوهرية، ومن بين الأنبياء الذين طالتهم هذه التحريفات ونالوا نصيبًا منها نبيّ الله عيسى عليه السلام، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند تلك التصورات وتصحيحها في ضوء المصادر الأصيلة.

إنّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عبدُ الله ورسولُه المبعوث إلى بني إسرائيل، أي إلى اليهود، وقد أرسله الله تعالى مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة، وداعيًا إلى إصلاح ما لحق بالدين من تحريف وانحراف أحدثه الأحبار والكهنة من بني إسرائيل، وقد شكّلت شخصية المسيح عليه السلام محورًا لجدلٍ دينيٍّ واسع بين الديانات الثلاث، حيث تباينت الرؤى واختلفت التصورات بشأنه اختلافًا كبيرًا، إذ ظهرت بعض التصورات المنحرفة التي صوّرته على نحوٍ مجافٍ للحقيقة، فذهبت إلى اعتباره شخصًا استولى على قدسية الاسم الإلهي، وخدع الناس بما نُسب إليه من سحر، وهي تصورات لا تستند إلى أساس علمي أو نصّي صحيح، وانطلاقًا من هذا التصوّر، ذهبت بعض الاتجاهات إلى تبرير ما نُسب إليه من القتل والصلب، بل سعت إلى طمس ذكره وإقصاء اسمه من تاريخهم ومدوّناتهم الدينية، بدعوى أنّه لا يستحق بعد ذلك أي حضور أو اعتبار، وعلى ضوء هذه الرؤى المتباينة، جاء اختيار موضوع هذا البحث ليتناول شخصية المسيح عليه السلام في إطار الأديان الثلاثة، بغية دراسة تلك التصورات وتحليلها وبيان أوجه الاختلاف بينها في ضوء المصادر الدينية المعتمدة (اليهودية والمسيحية والإسلام).

وقد جاء تنظيم هذا البحث في بنيةٍ علميةٍ منهجية، إذ اشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة، قُسِّم كل مبحث منها إلى مطالب وفق مقتضيات الموضوع، واختُتم البحث بخاتمة عُرضت فيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها، إلى جانب أهم التوصيات المستخلصة والمصادر والمراجع.

المبحث الأول

عيسى عليه السلام في المنظور اليهودي

المطلب الأول: حضور شخصية عيسى عليه السلام في أسفار العهد القديم

ولما كانت أسفار العهد القديم قد دُوِّنت واكتمل جمعها قبل بعثة المسيح عليه السلام بنحو أربعة قرون، فإنها لا تتضمن ذكرًا صريحًا لاسمه، ولا تتناول ما آلت إليه أحداث حياته أو مصيره.

وحتى الأسفار القانونية التي أُدرجت ضمن العهد القديم، والتي تم تدوين آخر أسفارها قبل ميلاد المسيح عليه السلام بما يقارب مئة وخمسين سنة، فإنها بدورها تخلو من أي ذكرٍ صريح لاسمه.

أمّا ما يورده المسيحيون من بشارات وأوصاف يرون أنّها تدلّ على يسوع المسيح، فإنّها لا تُعدّ معتبرة من منظور الديانة اليهودية، وعلى فرض صحّة انطباق تلك البشارات على السيد المسيح عليه السلام، فإنّ قراءة أسفار العهد القديم وفق التفاسير والتأويلات المسيحية تكشف عن كثرة النصوص والمواضع التي تتناول الحديث عن المسيح أو تبشّر بظهوره، حتى ليُقدَّر عددها بالمئات، إذ ألّف المسيحيون في هذا المجال مؤلفات عديدة، اعتمدوا فيها على نصوص العهد القديم، وقاموا بتأويلها وقراءتها بوصفها بشارات تمهّد لظهور المسيح يسوع، ويرون أنّها تنطبق عليه دلالةً ومعنًى، أمّا اليهود، فيرون أنّ تلك التفسيرات لا تتعلّق بعيسى عليه السلام، بل يعدّونها بشارات ونبوءات تشير إلى المسيح المنتظر لديهم، المنحدر من نسل الملك داود، والذي يُنتظر منه توحيد بني إسرائيل وتحقيق الغلبة لهم على خصومهم وفق تصوّرهم الديني.

تتسم التفسيرات المسيحية لنصوص العهد القديم بالكثرة والتنوّع، إذ يذهب بعض المسيحيين إلى اعتبار أنّ معظم آياته—إن لم يكن جميعها—تنطوي على إشارات أو دلالات يرون أنّها تنطبق على يسوع المسيح، ويمتد هذا المنظور التأويلي ليشمل ربط شخصية المسيح بمختلف الطقوس والمناسبات الدينية اليهودية، وقد وردت هذه القراءة في مصادر مسيحية اعتمدت تفسير التوراة وأسفار

العهد القديم من زاوية مسيحية خالصة، الأمر الذي يعكس اختلافًا جوهريًا في المنهج التأويلي بين الديانتين [١].

كما تتناول المصادر المسيحية عرضَ جملةٍ من مواقف اليهود تجاه دعوة المسيح عليه السلام، وما نُسب إليهم من تدبير المؤامرات ضده، غير أنّ هذه الروايات لا يُفترض أن تُعدّ ملزمة لليهود أو معبّرة عن نصوصهم الدينية المعتمدة وعلى نحوٍ مشابه، ينقل القرآن الكريم أقوال اليهود وأفعالهم ومواقفهم من الأنبياء عليهم السلام، في سياقٍ تقريريٍّ وتاريخيٍّ يهدف إلى بيان الحقائق العقدية والتربوية، دون أن يعني ذلك تبنّي تلك الأقوال أو إقرارها، وعلى الرغم من أنّ هذا التسجيل القرآني يُعدّ حقًّا ثابتًا من المنظور الإسلامي، فإنّ ذلك لا يستلزم بالضرورة قبول اليهود له بوصفه معبّرًا عن أقوالهم أو أفعالهم أو مواقفهم، ولا باعتباره جزءًا من تراثهم النصّي، كما هو الحال في الأخبار الواردة في أسفار العهد القديم. ويُلاحظ، في هذا السياق، أنّ الحديث عن عيسى بن مريم عليه السلام في المصادر اليهودية يرد بصورة موجزة للغاية؛ إذ لا يكاد يُعثر في التاريخ الديني اليهودي أو في مدوّناتهم المعتمدة على ذكرٍ صريحٍ لشخصه، ولا لدعوته، ولا للأحداث المتعلّقة بالقبض عليه أو صلبه فمن يطالع الكتب المقدّسة المعتمدة لدى اليهود لا يعثر فيها على ذكرٍ لعيسى عليه السلام، وهو ما دفع بعض الباحثين الغربيين إلى القول بأنّ شخصية عيسى إنما هي بناءٌ أسطوريٌّ أو فرضية ذهنية، وليست شخصية تاريخية قائمة على واقع ملموس.

وإذا ورد في بعض المصادر اليهودية حديثٌ عن عيسى عليه السلام أو عن قتله، فإنّ ذلك لا يستند إلى رواياتٍ راسخة في تاريخهم الديني الموروث عن أحبارهم ومشايخهم، وإنما يأتي غالبًا على سبيل النقل عمّا يرد في الخطاب المسيحي بشأن المسيح، فيُروى عنهم أحيانًا دون أن يكون له أصلٌ معتمد في مدوّناتهم؛ إذ تظلّ كتبهم، في الجملة، خاليةً من مثل هذه الأخبار. [٢]

---

(١) ينظر: المسيح في جميع الكتب، تأليف: أ.م.هودجكن (بيروت، دار منشورات التفسير، بلا ت)؛ والمسيح في الأعياد اليهودية، القمص روفائيل البرموسي، مراجعة: نيافة الأنبا إليسوذورس (دار نوبار للطباعة ، دير السيدة العذراء-برموس، ط١، ٢٠٠٤م).

(٢) المسيحية، د.أحمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة،ط١٠ ، ١٩٩٨/٨٧.

المطلب الثاني: ما جاء عن عيسى عليه السلام في الأدبيات التلمودية

يُعدّ التلمود المصدر الثاني من حيث الترتيب ضمن المصادر المقدسة في الديانة اليهودية، غير أنّه يحتلّ المرتبة الأولى من حيث الأهمية العملية والتشريعية؛ إذ يُنظر إليه بوصفه القانون المدوَّن الملزِم لدى اليهود، ويُرجَع إليه ابتداءً في دراساتهم الدينية وتشريعاتهم، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ اليهود قد أضفوا على هذا الكتاب صفة القداسة على نحوٍ دائم، وتمسّكوا به عبر العصور، ولا يزالون يعدّونه أهمَّ كتبهم المقدسة وأكثرها حضورًا في حياتهم الدينية، وهو ما يظهر بوضوحٍ جلي في واقعهم العلمي والتعبدي.

ومن أبرز ما ورد في التلمود بشأن المسيح عليه السلام: (وتُنسب إلى بعض النصوص التلمودية روايات تتضمن أوصافًا شديدة القسوة تجاه يسوع الناصري عليه السلام، إذ تصوّره—بحسب تلك المرويات—في موضع العذاب، وتطعن في نسبه ونشأته بأوصاف تُعدّ مسيئة، كما تشتمل هذه النصوص على أحكام وتقويمات سلبية تجاه الكنائس المسيحية ورجال الدين فيها، وتورد مواقف عدائية من أتباع الديانة المسيحية، بما في ذلك التشكيك في مشروعية العهود معهم، والدعوة إلى لعن قياداتهم الدينية وبعض الحكّام الذين يُنظر إليهم بوصفهم معادين لبني إسرائيل، وتُعرض هذه المرويات في سياقٍ يعكس حدّة الخلاف الديني والتاريخي، ولا تمثّل بالضرورة إجماعًا يهوديًا ولا موقفًا تاريخيًا موحّدًا)[٢].

وتتناول العديد من فقرات التلمود موضوعات تتصل بمولد المسيح عليه السلام وحياته وموته وتعاليمه، غير أنّ هذه النصوص لا تذكر اسمه صراحة في جميع المواضع، بل تلجأ إلى استعمال تسميات وإشارات غير مباشرة، من قبيل: (ذاك الرجل)، و(رجل معيّن)، و(ابن النجار)، و(الرجل الذي شُنِق)، وهو أسلوب تعبيري يعكس طبيعة الخطاب التلميحي في الأدبيات التلمودية عند تناول هذه الشخصية.[٣]

وممّا تقدّم يتّضح حجم التأثير العميق للتلمود في تشكيل الرؤية الفكرية لليهود وبناء شخصيتهم الدينية، المستمدّة من تعاليمه وأحكامه، إذ تُضفى على أوامره ومضامينه صفة القداسة، ويُنظر إليها

(٢) المسيحية، د.أحمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية المصدر السابق ص٢٧٩.
(٣) ينظر: أديان العالم، د.هيوستن ص٣٦٣.

بوصفها ملزِمة من حيث الإيمان والعمل، كما تسهم نصوصه في تنظيم علاقة الفرد بذاته وبالآخرين، ولا سيّما غير اليهود (الأمميين/الجويم)، وذلك وفق الأطر والتوجيهات التي ترسمها التعاليم التلمودية.

وتكشف بعض فقرات التلمود عن طبيعة موقف الكتبة من المسيح عليه السلام، ومنها:

١- وتُنسب إلى بعض النصوص التلمودية والأدبيات اليهودية الجدلية اتهامات شديدة في حقّ السيد المسيح عليه السلام، إذ تصوّره—وفق ذلك الخطاب—منحرفًا عن الديانة اليهودية، وتُلحق به أوصافًا عقدية سلبية. كما تمتد هذه النظرة، بحسب تلك المصادر، إلى أتباع المسيحية، حيث يُنظر إلى من لم يعتنق اليهودية منهم على أنّه خارج عن التوحيد، ويُوصَف بالعداء لله ولليهود، وهي تصورات تعبّر عن موقف جدلي خاص ولا تمثّل بالضرورة إجماعًا دينيًا يهوديًا معتمدًا.

٢- وتُنسب إلى بعض الخطابات التلمودية والكتابات اليهودية الجدلية أوصافٌ بالغة الحدّة في حقّ المسيح عليه السلام، تتهمه بالجنون والسحر والانحراف العقدي، كما تُطلق أحكامًا تكفيرية على أتباعه. وتُعرض هذه الأقوال في إطارٍ جدليٍّ يعكس طبيعة الصراع الديني والتاريخي، ولا تمثّل بالضرورة موقفًا يهوديًا موحّدًا أو معتمدًا في المدونة الدينية الرسمية.

٣- وتذهب بعض الأدبيات الجدلية إلى إطلاق أحكامٍ عقدية قاطعة على المجتمع المسيحي برمّته، فتصفه بالكفر، وتوسّع هذا الوصف ليشمل أتباعه ومناصريه كافة، ويُفهم هذا الطرح في سياقٍ سجاليٍّ تاريخي يعكس حدّة الخلاف الديني. (١)

٤- وتَرِد في بعض الأدبيات الجدلية أوصافٌ بالغة القسوة تجاه الكنائس المسيحية ورجال الوعظ فيها، إذ تُقدَّم تلك المؤسسات بعبارات تحقيرية، ويُشبَّه الوعّاظ فيها بأوصاف سلبية شديدة، ويُفهم هذا الخطاب في سياقٍ سجاليٍّ يعكس حدّة الخلاف الديني والتاريخي، ولا يمثّل بالضرورة موقفًا دينيًا رسميًا معتمدًا أو إجماعًا داخل التراث اليهودي.

٥- وتُنسب إلى بعض الأدبيات الجدلية أقوالٌ تتضمّن مواقف متشدّدة تجاه أتباع الديانة المسيحية، من بينها الدعوة إلى معاملتهم معاملة عدائية، فضلاً عن الدعوة إلى لعن قياداتهم الدينية وبعض الحكّام

(١) حياة المسيح وتعاليمه، د.ديفيد هولدواي، شركة اوفست للطباعة، ٢٠٠٢م، ص١٤٧.

الذين يُنظر إليهم بوصفهم معادين لبني إسرائيل، ويُفهم هذا الخطاب في سياقٍ سجاليٍّ تاريخي يعكس حدّة الصراع الديني.

١٠- وتَرِد في بعض الخطابات الجدلية عبارات تمجّد جماعة بعينها إلى حدّ الزعم بأنّ وجودها شرطٌ لدوام الخير والبركة في العالم، وهي مقولات تُفهم في سياقٍ سجاليٍّ يعكس نزعة تعظيم ذاتي، ولا تمثّل بالضرورة موقفًا دينيًا رسميًا مُجمَعًا عليه.(١)

المبحث الثاني

عيسى عليه السلام في العقيدة المسيحية

تتسم المعلومات والمصادر التي تتناول حياة عيسى عليه السلام وشخصيته وملامح سيرته بدرجة من التعقيد، كما يكتنفها قدرٌ من الإبهام، ويبرز فيها وجود تناقضات يصعب التوفيق بينها، وينطبق هذا الوصف، على نحوٍ خاص، على المعطيات الواردة في الأناجيل الأربعة، حيث تتباين الروايات والتفاصيل المتعلقة بأحداث حياته وتعاليمه، فعلى سبيل المثال، تَعرض الأناجيل شجرتين مختلفتين لنسب المسيح عليه السلام الممتدّ إلى إبراهيم عليه السلام، إذ يورد إنجيل متّى سلسلة نسب تتكوّن من واحدٍ وأربعين اسمًا، في حين يذكر إنجيل لوقا سلسلة أخرى تضمّ ستةً وخمسين اسمًا، كما سيأتي بيانه لاحقًا، وليس من المستغرب، في ضوء ذلك، أن تظهر مثل هذه التباينات عند دراسة حياة المسيح عليه السلام استنادًا إلى الروايات الإنجيلية، ذلك أنّ هذه الدراسة تنقل في جوهرها وجهات النظر الواردة في تلك المصادر نفسها وما يعتريها من اختلافات.

المطلب الأول: حياة سيدنا عيسى عليه السلام منذ ميلاده حتى بعثته

اتّسمت حياة السيد المسيح عليه السلام بدرجةٍ ملحوظة من الغموض، وذلك لقلّة التفاصيل المتعلّقة بسيرته الشخصية؛ إذ إنّ المعطيات المتوافرة عنها محدودة إلى حدٍّ دفع بعض الباحثين في مطلع القرن العشرين إلى طرح فرضية تشكّك في الوجود التاريخي لهذه الشخصية من الأساس، وهو رأي أُثير في سياق نقديٍّ بحثيٍّ خاص ولا يخلو من جدلٍ علمي.

---

(١) المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين/٥٤-٥٥؛ وينظر: حقيقة اليهود، فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي (بلا ت)/٤-٥.

وُلد عيسى عليه السلام في فلسطين إبّان حكم هيرودس الكبير، ويُرجَّح أن يكون ذلك نحو سنة أربع قبل الميلاد. ويشير هوستن سميث إلى أنّ الحسابات الزمنية المتداولة، التي تفترض بدء التاريخ من سنة ميلاده، لا تخلو من خطأ زمني يمتدّ لعدة سنوات. وقد نشأ في مدينة الناصرة أو في إحدى ضواحيها، ويُفترض أنّه عاش نشأةً عادية تتّفق مع نمط الحياة السائد بين اليهود في ذلك العصر.(١)

وأثار دعوته بإعلانه اقتراب دينونة الله اهتمامًا واسعًا في محيطه. وفي أوائل العقد الثالث من عمره، باشر نشاطه في التعليم وممارسة الشفاء مدةً تراوحت—بحسب الروايات—بين سنة وثلاث سنوات، وتمركز هذا النشاط على نحوٍ ملحوظ في إقليم الجليل شمال فلسطين، ومع اتساع أثر دعوته، بدأ يواجه معارضة من بعض أبناء مجتمعه، كما أبدت السلطات الرومانية قدرًا من الريبة والشك تجاهه، وقد أفضت هذه التطورات، في نهاية المطاف، إلى واقعة صلبه على مشارف مدينة أورشليم (القدس) وانطلاقًا من هذه الأحداث التي ترسم الإطار العام والخطوط الرئيسة لحياة يسوع عليه السلام، يمكن الانتقال إلى دراسة ملامح الحياة التي عاشها في سياق هذا الإطار التاريخي العام وتحليل أبعادها المختلفة. (١)

وتمتدّ هذه المرحلة، أي المرحلة الأولى من حياة المسيح عليه السلام، قرابة ثلاثين سنة، تبدأ تقريبًا من سنة أربع قبل الميلاد إلى عامي سبعةٍ وعشرين أو ثمانيةٍ وعشرين للميلاد، وعلى الرغم من وضوح بعض ملامح هذه الفترة وتوافر قدرٍ من المعلومات بشأنها، فإنّ جزءًا كبيرًا منها—يُقدَّر بنحو عشرين سنة أو يزيد—يبقى غامضًا، إذ لا تقدّم الأناجيل روايات مفصّلة عنه، ولا تتوافر إجابات واضحة تسدّ هذا الفراغ التاريخي.

إنّ ما وصل إلينا من أخبار تلك السنوات الثلاثين يقتصر على وقائع محدودة، إذ تذكر الأناجيل أحداث السنة الأولى من حياة عيسى عليه السلام، ولا سيّما خبر ولادته، ثم تمضي في صمتٍ نسبي حتى بلوغه الثانية عشرة من عمره، حيث يُشار إلى دخوله الهيكل وجلوسه بين معلّمي الشريعة. وبعد ذلك، تعود الأناجيل إلى الإغفال مرة أخرى، فلا تقدّم أي معطيات واضحة عن مرحلة تمتدّ قرابة

(١) حياة المسيح وتعاليمه، د.ديفيد هولدواي، ٢٧٧-٢٧٩.

(١) أديان العالم، د.هوستن سميث، حبيب سعيد/ النيسة الاسقفية، القاهرة/٣٩٣ و٣٩٤.

ستة عشر عامًا من حياته، أي حتى وصوله إلى نحو الثامنة والعشرين من عمره، وهو ما يبرز فراغًا ملحوظًا في السرد التاريخي لهذه الفترة.

قضية ميلاد المسيح عليه السلام ونسبه في المصادر الدينية

إنّ التأمّل في قدرة الخالق سبحانه وتعالى في كيفية خلق الإنسان يفضي إلى إدراك عظيم حكمته وبديع صنعه؛ فقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام، أبا البشر، من ترابٍ دون أبٍ أو أم، ثم أوجد حواء عليها السلام من ضلع آدم، فكان خلقها من ذكرٍ دون أنثى، ثم جرت سنّته الإلهية في خلق سائر البشر من ذكرٍ وأنثى، في تنوّعٍ يدلّ على كمال القدرة الإلهية وإحكام النظام الكوني ﭧﭐﭑﭒ ﭐ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ(١).

أمّا نسب المسيح عليه السلام، فقد انفرد بذكره كلٌّ من إنجيلي متّى ولوقا دون سائر الأناجيل، غير أنّ المقارنة بين الروايتين تكشف عن اختلافات جوهرية يصعب تجاوزها، بما يدفع الباحث إلى القول بوجود تعارضٍ بينهما، ويثير هذا التباين تساؤلًا منهجيًا حول مصدر هذه الاختلافات: أهو اجتهاد من الكاتبين أم اعتماد على وثائق تاريخية متباينة؟ غير أنّ الاحتمال الأول يبدو مستبعدًا؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مسائل تتعلّق بشجرة النسب التي يُفترض فيها الضبط والدقّة التاريخية.

عرض النصوص الإنجيلية الخاصة بميلاد عيسى عليه السلام

كما يورد إنجيل لوقا ذلك في سياق عرضه للرواية: (أرسل الله الملاك جبرائيل إلى بلدةٍ في الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء اسمها مريم، كانت مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، فدخل إليها الملاك وقال لها: السلام عليكِ يامَن أنعم الله عليها، الرب معك، فاضطربت مريم لكلام الملاك وقالت في نفسها: ما معنى هذه التحية، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، نلت حظوة عند الله، فستحبلين وتلدين ابناً تسمينه يسوع، فيكون عظيماً وابن الله العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا عذراء لا أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: الروح القدس يحل عليك، وقدرة العليّ تظللك، لذلك

(١) سورة الحجرات الاية ١٣.

فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله، ما قريبتك الذي اصابك حبلى بابنٍ في شيخوختها، وهذا هو شهرها السادس، وهي التي دعاها الناس عاقراً، فما من شيءٍ غير ممكنٍ عند الله. فقالت: أنا خادمة الرب: فليكن لي كما تقول، ومضى من عندها الملاك)[١].

ومن خلال هذا العرض، يلاحظ ورود عدد من الألفاظ والتعابير ذات الدلالات الخاصة وغير المألوفة في النص، مثل عبارة: (ويُدعى ابنَ الله العلي)، وقوله: (الذي يولد منكِ يُدعى ابنَ الله)، وكذلك تعبير: (ويعطيه الربّ الإله عرشَ أبيه داود) وهذه الصياغات ترد بحسب المتاح من النصوص في إنجيل لوقا على وجه الانفراد دون سائر الأناجيل، ويُشار إلى أنّ هذه المضامين العقدية لم تُقرّ بوصفها معتقدًا رسميًا إلا في مرحلة لاحقة، ولا سيّما في مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م.

ويورد إنجيل متّى نصًّا يفيد هذا المعنى: (كانت أمه مريم مخطوبةً ليوسف، فتبين قبل أن تسكن معه أنها حبلى من روح القدس؟!!. وكان يوسف رجلاً صالحاً فما أراد أن يكشف أمرها، فعزم أن يتركها سراً، وبينما هو يفكر في الأمر، ظهر له ملاك الرب في الحلم وقال له: يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأة لك، فهي حبلى من الروح القدس، وستلد ابناً تسميه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم... فلما قام يوسف من النوم عمل بما أمره ملاك الرب. فجاء بامرأته إلى بيته، ولكنه ما عرفها حتى ولدت ابنها فسماه يسوع)[٢].

وقد تزامن ميلاده مع الإحصاء العام الذي أصدر قيصر الروم أمرًا بإجرائه، وذلك وفق ما تذكره الروايات الإنجيلية في سياق تحديد الإطار الزمني لولادته (أوغسطس)[٣] على أن يشمل هذا الإحصاء سكّان إمبراطوريته جميعًا، بحيث يُسجَّل كلّ فردٍ في مدينته وعشيرته وفق النظام المعتمد آنذاك، (وصعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى بيت لحم- ستة أميال إلى الجنوب من أورشليم-القدس-مدينة داود؛ لأنه كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب مع مريم خطيبته،

---

(١) انجل لوقا ١/٢٦-٣٨.

(٢) انجيل متى ١/١٨-٢١، ٢٤-٢٥.

(٣) أوغسطس: هو لقب لاتيني ومعناه: (المبجل) وهو أول امبراطور روماني (٣١ق.م-١٤م) وقد أرسى قواعد حكمه في أنحاء الامبراطورية، وفي الأرض المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وقال (هيرودس) والياً على فلسطين من قبله، فكان يرسل الجزية إلى روما، وفي عهده- أي هيرودس- ولد المسيح عليه السلام، دراسات في اليهودية والمسيحية /٢٧٨ حاشية رقم:٢.

وكانت حبلى، وبينما هما في بيت لحم، جاء وقتها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في مذودٍ، لأنه كان لا محل لهما في الفندق)[١].

وتُصوِّر الروايات الإنجيلية ولادة المسيح عليه السلام بوصفها بشارةً إلهيةً لبني إسرائيل الذين انحرفوا عن طريق الهداية بعد وفاة موسى عليه السلام؛ إذ يُذكر أنّ ملاك الرب بشّر الرعاة القريبين من موضع الحدث بميلاد مخلِّص إسرائيل، وهو المسيح الرب، وقد توجّه أولئك الرعاة إلى المذود، فعاينوا ما وُصف بالعجائب، وانصرفوا وهم يمجّدون الله ويسبّحونه على ما سمعوه وشاهدوه من آيات تلك الليلة. [٢]

ويشير إنجيل لوقا إلى بعض ملامح حياته وتنقّلاته عليه السلام: (ولما تمم يوسف ومريم كل ما تفرضه شريعة الرب، رجعوا إلى الجليل، إلى مدينتهم الناصرة، وكان الطفل ينمو ويتقوى ويمتلئ بالحكمة، وكانت نعمة الله عليه)[٣].

وقد عُرِف عيسى عليه السلام في الأناجيل بعدد من الأسماء والألقاب، من أهمّها:

يسوع: وقد وردت هذه التسمية في الأناجيل، ويُفهم منها معنى (المخلِّص)، حيث يرى المسيحيون أنّ إطلاق هذا الاسم عليه إنما كان لدلالته على دوره الخلاصي، إذ يُعتقد أنّه يخلّص أمته خلاصًا روحيًا من عبودية الخطيئة وسلطانها، وفق التصوّر العقدي المسيحي.[٤]

غير أنّه يجدر التنبيه إلى أنّ هذا الاسم لم يكن مستحدَثًا في زمن العهد الجديد؛ إذ كان اسم (يسوع) شائع التداول في تلك الحقبة، وحمله عدد كبير من الأشخاص، ويُفهم معناه في الأصل على أنّه (يهوه يُخلِّص)، وقد كان من الممكن، بحسب التعبير التاريخي، أن يُصادف المرء في شوارع أورشليم أشخاصًا يُعرفون بأسماء مثل (يسوع الخبّاز) أو (يسوع الصيّاد) كما يشير يوسيفوس إلى وجود عدد من الكهنة الذين حملوا الاسم نفسه. ولهذا جرى تمييز المسيح عليه السلام بإضافات توصيفية، كأن

---

(١) انجيل لوقا ٢/١-٧.

(٢) انجيل لوقا ٢/٨-٢٠.

(٣) انجيل لوقا ٢١-٤٠.

(٤) النصرانية في الميزان، المستشار محمد عزت الطهطاوي (دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٥م)/٢٤٧.

يُقال: (يسوع الناصري) أو (يسوع النجار)، أو (يسوع بن يوسف) دفعًا للّبس وتمييزًا له عن غيره ممن اشتركوا معه في الاسم. (١)

٢: **المسيح:** وقد أطلقت الأناجيل على عيسى عليه السلام لقب (المسيح)، ومن هذا المنطلق يرى المسيحيون أنّ هذه التسمية تنصرف إليه على وجه الخصوص، ولا تُطلق—في تصورهم—على غيره في إطار ديني آخر،وبناءً على ذلك، يُفهم في الخطاب المسيحي أنّ المقصود بالمسيح في النصوص الإنجيلية المشار إليها هو يسوع، أي عيسى ابن مريم عليه السلام، بوصفه المصداق الوحيد لهذا اللقب وفق الاعتقاد المسيحي.

غير أنّ هذا الفهم لا يخلو من إشكال، إذ إنّ لقب (المسيح) لم يكن حكرًا على شخصٍ واحد في نصوص العهد القديم، بل أُطلق على عدد من الشخصيات، من بينهم شاول وداود، وكذلك على ملوك آخرين، كما استُعمل أيضًا في وصف كورش ملك فارس، ويُفهم من ذلك أنّ استعمال هذا اللقب في السياق الكتابي القديم كان ذا دلالة أوسع، وقد ورد في المزامير **(لاتسمحوا مسحائي، ولاتسيئوا إلى أنبيائي)**،(٢) ذن إنه لا خصوصية ليسوع عليه السلام بلقب المسيح(٣).

٣: **المُخلّص:** ويتجلّى هذا الطرح في رسائل بولس بصفةٍ خاصة (٤) لفظ (مخلص) ومن خلال هذه الإطلاقات والمضامين، استخلص المسيحيون أنّ في المسيح طبيعةً لاهوتية خوّلته القيام بفعل الخلاص، على نحوٍ يُشبه ما يُنسب إلى الله أو إلى الملاك في النصوص الدينية؛ ومن ثمّ رأوا أنّ خلاصه يتمّ بوصفه ذا طبيعة إلهية، لا باعتباره إنسانًا فحسب ما ورد في بعض نصوص المزامير**(باطل هو خلاص الإنسان)**،(٥) وقد وُجِّه اعتراضٌ على هذا الاستخلاص، إذ إنّ باب الرجوع إلى الله والتوبة إليه مفتوح لكلّ إنسان، دون اشتراط طبيعةٍ لاهوتيةٍ خاصة، وهو ما يثير تساؤلًا حول حصر فعل الخلاص في شخصٍ بعينه دون سواه. (٦)

---

(١) ينظر: حياة المسيح وتعاليمه، د.ديفيد هولدواي، شركة اوفست للطباعة، ٢٠٠٢م./٢٦.

(٢) مزامير ١٠٥/١٥.

(٣) ينظر: النصرانية في الميزان/٢٤٨-٢٥٠.

(٤) ينظر: تيموثاوس الثانية/١٢، يوحنا ٣/١٧.

(٥) مزامير ٦٠/١١.

(٦) ينظر: النصرانية في الميزان/٢٥٥-٢٥٦.

٤: **الفادي**: كما استُعمل هذا المصطلح في رسائل بولس: (لكن الله برر هم مجاناً بنعمته بالمسيح يسوع الذي افتداهم.. المسيح افتدانا من لعنة الناموس، فكان لنا فيه الفداء بدمه، أي غفران الخطايا)[١].

ومهما يكن الاختلاف في فهم ما يُذكر عن السيد المسيح عليه السلام، فإنّ الصفات والنعوت والألقاب والأسماء التي خصّه بها القرآن الكريم دون سائر الأنبياء والمرسلين، بل ودون الملائكة المقرّبين تُبرز له منزلةً فريدة، وتدلّ على علاقة خاصة ذات أبعاد عقلية وروحية مميّزة بينه وبين الله تعالى، بما يعكس خصوصية موقعه في التصوّر القرآني.[٢]

المطلب الثاني : حياة عيسى عليه السلام

نشأ عيسى عليه السلام وقضى مراحل صباه وشبابه في طهارةٍ وتقوى، تحفّه العناية الإلهية بالحفظ والرعاية، وتقيه من نزغات الشيطان ووساوسه، حتى اصطفاه الله تعالى بالوحي، وجعله نبيًّا رسولًا، وبعثه إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه كتابه الإنجيل، وقد جاءت بعثته عليه السلام وإنزال الإنجيل تحقيقًا للبشارة الإلهية التي أُخبرت بها أمه قبل حملها به، تأكيدًا لوعد الله وتمام حكمته.

إن هذه المرحلة تبدأ حوالي عام (٢٧م) وتنتهي بعام (٣٠م) حسب رأي بعض الكتاب المسيحيين[٣]، إذن هذه الفترة هي حوالي ثلاث سنوات وهي فترة نبوة المسيح عليه السلام، وإن كان هناك آراء أن المسيح مارس النبوة من عام (٣٠م) إلى (٣٣م)[٤]، وإذا ما رجعنا إلى ما ترويه الكتب المسيحية، وإلى ما يطرحه بعض الباباوات والقساوسة، تبيّن أنّ هذه المصادر لا تقدّم جميع التفاصيل التي قد يحتاج إليها المسيحي نفسه أو الباحث في الشأن المسيحي، بل تقتصر في كثير من الأحيان على جملةٍ من الادعاءات والتقريرات العامة، ومن بين ذلك القول بأنّ الروح القدس يحلّ أو يجتمع بالباباوات والقساوسة ورجال الكنيسة، وهي دعوى تُطرح في إطارٍ لاهوتيٍّ خاص، دون أن تُسند دائمًا إلى معطيات نصّية أو تاريخية واضحة.

---

(١) ينظر: رسالة رومية ٣/٢٤، رسالة غلاطية ٣/١٣، رسالة أفسس ١/٧.

(٢) ينظر: النصرانية في الميزان/٢٦٠-٢٦٢.

(٣) ينظر: حياة المسيح وتعاليمه، د.ديفيد هولدواي، ٢٧٧-٢٧٩.

(٤) ينظر: أديان العالم، د.هيوستن سميث/٣٩٤.

وتتّسم هذه المرحلة بغزارة الأحداث وتسارع التحوّلات، إذ أفاضت الأناجيل في عرض وقائعها من حياة المسيح عليه السلام، ومن أبرز ما تذكره في هذا السياق: تعميده على يد يوحنا المعمدان، وتجربته في البرية، ثم ظهور التلاميذ الأوائل ووقوع المعجزة الأولى في قانا، يلي ذلك حادثة تطهير الهيكل. كما تتناول الأناجيل مسار دعوته بين اليهودية، ثم في الجليل، فالناصرة وكفر ناحوم، فضلًا عن زيارته أورشليم. وقد تنقّل يسوع بين هذه المدن خروجًا وعودة، ومنها وإليها بعث الرسل والتلاميذ، في إطار نشاط دعوي متواصل.

إن قيام عيسى عليه السلام بدعوة بني إسرائيل وقصر دعوته إليهم ليس فيه أيُّ انتقاص من شأنه ولا أي تقليل لرسالته، فإن دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام كانت خاصة إلى أقوامهم وليس في القرآن الكريم ولا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يشير أو يدل على أن رسالة الأنبياء أو أحد منهم كانت عامة.

وقد تتحدث الأناجيل عن كل المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وشفاء المرضى وإخراج الأرواح الشريرة وتكثير الأطعمة والأشربة وغيرها من المعجزات، فليس من السهل تفصيل كل هذه الأحداث، أو تناول كل تلك المعجزات، يكفي أن نلقي نظرة سريعة، إلى أهم تلك الأحداث وأكبر تلك المعجزات.

المعجزات الواردة في نصوص العهد الجديد عن عيسى عليه السلام

أولاً- معجزات انفرد بذكرها إنجيل واحد:

١- ويختصّ إنجيل متّى بذكر عددٍ من المعجزات دون سائر الأناجيل، من بينها شفاء أعميين، وطرد الشيطان من أخرسٍ وُصف بالجنون، فضلًا عن حادثة وجود قطعة النقد في فم السمكة. ويُلاحظ أنّ هذه الروايات تَرِد في إنجيل متّى على وجه الانفراد.[١]

٢- ومن المعجزات التي اختصّ إنجيل مرقس بروايتها معجزتان: " شفاء رجل أصم أعقد" و"شفاء رجل أعمى"[٢].

(١) انجيل متى (٩/٢٧-٣١) و(٩/٣٢-٣٣) و(١٧/٢٤-٢٧).
(٢) انجيل مرقس: (٧/٣١-٣٧) و(١٨/٢٢-٢٦).

٣- ومن المعجزات التي اختصّ إنجيل لوقا بروايتها ستّ معجزات: " صيد السمك الكثير" و" إقامة ابن أرملة نايين" و" شفاء المرأة المنحنية" و" شفاء إنسان به استسقاء" و"شفاء عشرة برص" و" شفاء أذن ملخس" ،[١]

٤- ومن المعجزات التي اختصّ إنجيل يوحنا بروايتها ستّ معجزات: " تحويل الماء إلى خمر" و" شفاء ابن خادم الملك" و"شفاء مريض بركة بيت حسدا" و"شفاء الرجل المولود أعمى" و" إقامة لعازر من الأموات" و"صيد مائة وثلاثة وخمسين "١٥٣" سمكة كبيرة"[٢].

ثانياً- معجزات وردت في إنجيلين دون غيرهما من الأناجيل:

١- المعجزات الثلاث المشتركة بين إنجيلي متّى ومرقس "شفاء ابن المرأة الكنعانية" و"إطعام الأربعة آلاف" و" لعنة شجرة التين"[٣].

٢- المعجزتان المشتركتان بين إنجيلي متّى ولوقا: " شفاء غلام قائد المئة من الفالج" و"شفاء المجنون الأعمى الأخرس"[٤].

٣- المعجزتان المشتركتان بين إنجيلي مرقس ولوقا: "شفاء رجل به روح نجس في مجمع كفر ناحوم" و" شفاء المجنون الأعمى الأخرس"،[٥]

ثالثاً- معجزات لم تَرِد إلا في ثلاثة من الأناجيل الأربعة:

معجزات وردت في متّى ومرقس ولوقا دون إنجيل يوحنا (عشر معجزات): (شفاء الأبرص)[٦] و(شفاء حماة بطرس)[٧] و(إسكات العاصفة)[٨] (شفاء مجنون كورة الجديرين)[٩] و(شفاء المفلوج)[١]

---

(١) انجيل لوقا: (٥/١-١١) و(٧/١١-١٧) و(١٣/١١-١٧) و(١٤/١-٦) و(١٧/١١-١٩) و(٢٢/٥٠-٥١).
(٢) انجيل يوحنا: (٢/١-١١) و(٤/٤٦-٥٤) و(٥/١-٩) و(٩/١-٧) و(١١/٣٨-٤٤) و(٢١/١-١٤).
(٣) انجيل متى: (١٥/٢٨) و(١٥/٣٢) و(٣١/١٩)، ومرقس: (٧/٢٤) و(١/٨) و(١١/١٣-١٤).
(٤) انجيل متى: (٨/٥) و(١٢/٢٢)، ولوقا (٧/١) و(١١/١٤).
(٥) انجيل مرقس: (١/٢٣) و(متى ١٢/٢٣) و(لوقا ٤/٣٣) و(١١/١٤)
(٦) ينظر: (متى ٨/٢)، (مرقس ١/٤٠)، (لوقا ٥/١٢).
(٧) (متى ٨/١٤)، (مرقس ١/٣٠)، (لوقا ٤/٣٨).
(٨) (متى ٨/٢٣)، (مرقس ٤/٣٧)، (لوقا ٨/٢٢).
(٩) ينظر: (متى ٨/٢٨) و(مرقس ٥/١) و(٨/٢٦).

و(إقامة ابنة يايرس)[٢] و(شفاء المرأة نازفة الدم)[٣] و(شفاء الرجل ذي اليد اليابسة)[٤] و(طرد الشيطان من صبي)[٥] و(شفاء الرجل الأعمى خارج أريحا)[٦].

رابعاً- معجزة واحدة ذكرتها ثلاثة أناجيل: متّى ومرقس ويوحنا:

وهي أن يسوع يمشي على الماء[٧].

خامساً- معجزة واحدة تذكرها الأناجيل الأربعة: وهي إشباع الخمسة آلاف[٨].

وتشير المعطيات الواردة في العهد الجديد إلى أنّ عدد معجزات عيسى عليه السلام يصل إلى نحو (٣٧) معجزة، ووفقًا للإحصاء الوارد في النصوص الكتابية، فإنّ اثنتين وعشرين (٢٢) معجزة من مجموع معجزات عيسى عليه السلام تتعلّق بشفاء المرضى بمختلف صور العلل والأمراض. كما تَرِد ثلاث (٣) معجزات في سياق طرد الشيطان أو الأرواح الشريرة، ويُضاف إلى ذلك ثلاث (٣) معجزات تتصل بإحياء الموتى، وهي: إقامة ابن أرملة نايين، وإقامة لعازر، وإقامة ابنة يايرس.

وتشتمل المعجزات الأخرى على ثلاث (٣) معجزات مرتبطة بالصيد، أي صيد الأسماك، فضلًا عن معجزتين (٢) تتعلّقان بإكثار الطعام، تمثّلتا في إطعام الجموع في واقعتين منفصلتين، إحداهما لإطعام خمسة آلاف، والأخرى لإطعام أربعة آلاف.

---

(١) ينظر: (متى ٢/٩) و(مرقس ٣/٢) و(لوقا ١٨/٥).
(٢) ينظر: (متى ١٨/٩ و٤٥) و(مرقس ٢٣/٥) و(لوقا ٤١/٨).
(٣) ينظر: (متى ٢٠/٩-٢٢) و(مرقس ٥/٥) و(لوقا ٤٣/٨).
(٤) ينظر: (متى ١٠/١٢) و(مرقس ١/٣) و(لوقا ٦/٦).
(٥) ينظر: (متى ١٤/١٧) و(مرقس ١٧/٩) و(لوقا ٣٧/٩).
(٦) ينظر: (متى ٣٠/٢٠) و(مرقس ٤٦/١٠) و(لوقا ٣٥/١٨).
(٧) ينظر: (متى ٢٥/١٤) و(٤٨/٦) و(يوحنا ١٩/٦).
(٨) ينظر: (متى ٥/١٤) و(مرقس ٣٤/٦) و(لوقا ١٠/٩) و(يوحنا ١/٦-١٤).

المبحث الثالث : عيسى عليه السلام في المنظور الإسلامي

تُعدّ قصص القرآن الكريم من أبلغ مظاهر الهداية والدعوة إلى الإيمان، لما تحمله من معانٍ عميقة في الاعتبار والاتّعاظ؛ إذ يغلب عليها تناول سير الأنبياء والمرسلين، وما تضمّنته من معجزات وآيات تُثبت صدق الوحي والرسالة والنبوة. وتبقى هذه القصص شاهدة على قدرة الله تعالى المطلقة، سواء في مجريات الأمور الاعتيادية أو في الاستثناءات الخارقة للسنن المألوفة، حيث يُجري الله سبحانه المعجزة على يد نبيٍّ أو رسولٍ لتكون دليلًا قاطعًا على صدق دعواه الرسالة أو النبوة، ومن هذه القصص ما مرّ سابقا من قصص زكريا ويحيى ومريم، وما يذكر هنا من قصة ولادة عيسى من غير أب، ومعجزاته، وتعليم الله له الكتاب (الكتابة) والحكمة (العلم النافع) والتوراة والإنجيل.

وقد وردت قصة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم مقرونةً باسمه وصفته وكنيته، في سياقٍ يتّسم بالتبجيل والتعظيم. ويُذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم—بالاسم واللقب والكنية—ثلاثًا وثلاثين (٣٣) مرة، وهو عددٌ يوافق، بحسب ما يُروى، مجموع السنين التي قضاها في حياته الأرضية، إذ عاش نحو ثلاثٍ وثلاثين سنة. وقد جاء هذا الذكر في سبعٍ وثمانين (٨٧) آية موزّعة على خمس عشرة (١٥) سورة؛ تسعٌ منها مدنية تضمّ أربعًا وخمسين (٥٤) آية، وهو عددٌ يفوق الآيات المكية التي بلغت ثلاثًا وثلاثين (٣٣) آية وردت في ستّ (٦) سور.

كان عليه السلام عبدا لله وكان نبيا وكان رسولا إلى بني إسرائيل وكان واحدا من الخمسة أولي العزم صاحب شرع وكتاب وهو الإنجيل وكان سماه الله بالمسيح عيسى وكان كلمة لله وروحا منه وكان إماما وكان من شهداء الأعمال وكان مبشرا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وكان من المصطفين وكان من المجتبين وكان من الصالحين وكان مباركا أينما كان، وكان زكيا وكان آية للناس ورحمة من الله وبرا بوالدته وكان مسلما عليه وكان ممن علمه الله الكتاب والحكمة فهذه اثنتان وعشرون خصلة من مقامات الولاية هي أجمل ما وصف الله به هذا النبي المكرم ورفع بها قدره إذن إن قصة السيد المسيح عليه السلام بخلاف قصص غيره من أولي العزم من الرسل قد ورد أكثرها في سور العهد المدني، وآياته الكريمة. ولعل السر في هذا –والله أعلم– هو أن الرسول حين هاجر هو والذين آمنوا معه إلى المدينة، وجدوا جالية كبيرة– نسبياً– من

اليهود والمسيحيين، وكانت لدى تلك الجالية بعض المفاهيم الخاطئة عن سيرة المسيح عليه السلام فأراد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لهم ولغيرهم حقيقة سيرة ذلك الرسول الكريم [١].

المطلب الأول: ولادة سيدنا عيسى عليه السلام ومكانتهم في الدين الاسلامي

لا يكاد يوجد مصدر يقدّم عرضًا أدقّ وأوثق لسيرة المسيح عيسى وأمه مريم عليهما السلام من القرآن الكريم؛ إذ يمنحهما منزلة رفيعة ومكانة سامية في التصوّر الإسلامي، ويجعل لهما حضورًا بارزًا في الوعي الديني للمسلمين. وقد تضمّن القرآن الكريم بيان نبوّة عيسى عليه السلام، وإشارات إلى مراحل من حياته، ومضامين خطابه ومواقفه، كما وردت في السنّة النبوية جملة من الروايات التي تُكمل صورة سيرته عليه السلام وتبرز معالمها الأساسية، وبناءً على ذلك، زخرت كتب التفسير والحديث والعقائد وسائر التراث الإسلامي بالحديث عن عيسى عليه السلام، حتى غدت معرفته ومعرفة أمه مريم عليهما السلام من المسلّمات الراسخة في الوعي الإسلامي. ويعود ذلك إلى أنّ الإيمان بنبوّة عيسى عليه السلام يُعدّ جزءًا أصيلًا من ركن الإيمان بالرسل، فضلًا عن كونه أقرب الأنبياء إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حيث التسلسل التاريخي الزمني.[١]

المكانة الخاصة للسيدة مريم بنت عمران عليها السلام:

اختصّ القرآن الكريم ببيان تاريخ مريم أمّ عيسى عليهما السلام، على نحوٍ لا يكاد يُوجد في سائر الكتب المقدّسة؛ إذ قدّم عرضًا مفصّلًا لحياتها ونشأتها قبل ميلاد عيسى عليه السلام، وهو تفصيل تفتقر إليه المصادر الدينية الأخرى أو تكتفي فيه بإشارات عابرة. [٢]

وقد تكفّل الله تعالى برزق مريم عليها السلام، فأمدّها بما تحتاجه من الطعام وسائر أسباب القوت،((وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) [٣]٢ خطاب الملائكة لمريم لايعني أنها كانت نبية، وقد يرسل الله تعالى ملائكته لتخاطب صالحين وصالحات، كما خاطبت امرأة إبراهيم وأزالت استغرابها

---

(١) ينظر: أولو العزم من الرسل، عمر احمد عمر/ دار حسان للطباعة والنشر، ج١/ ط١، ١٩٨٨/١٤٩-١٥١.

(١) ينظر: الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام جمعا ودراسة، ابتهاج صالح فيرق، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ١٤٣٤هـ (ص:٧).

(٢) ينظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، سارة العبادي (ص:١٤٠).

(٣) سورة آل عمران الآية ٤٢-٤٣.

من حملها بإسحاق وهي عجوز عقيم، ومعنى (اصطفاك): أي اختارك وآجتباك لطاعته، وخصك لكرامته، ومعنى (طهرك): أي طهر بدنك من الريب والأدناس والأرجاس التي قد تكون في أبدان بعض النساء. وقد اصطفاها الله تعالى على نساء زمانها، وعليها اذن أن تكون عابدة قانتة راكعة ساجدة لله تعالى مع جميع العابدين المخلصين(١).

وتُعدّ مريم أمّ عيسى عليها السلام من أبرز أعلام النساء اللواتي خلّد التاريخ ذكرهن، لما حظيت به من مكانة دينية رفيعة وحضورٍ خالد في التراث الديني: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٢) وتنتمي مريم عليها السلام إلى آل عمران، مع والديها، كما أنّ أختها—وهي زوجة زكريا عليه السلام—كانت أمًّا ليحيى بن زكريا عليهما السلام، وهو ما يبرز تميّز هذه الأسرة بمكانتها الدينية واصطفائها الإلهي.

ورد ذكر مريم عليها السلام في القرآن الكريم أربعًا وثلاثين (٣٤) مرة، في سياقٍ يتّسم بالإجلال والتكريم، بل انفرد القرآن بذكرها بالاسم الصريح دون سائر النساء، وهو ما يدلّ على عظيم مكانتها وخصوصية منزلتها في التصوّر الإسلامي، كما ورد ذلك في النصّ القرآني الكريم: "**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون**" .(٣)

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمريم عليها السلام بالكمال وتمام الرجاحة، كما ورد ذلك في الحديث النبوي الشريف، بما يعكس سموّ مكانتها وعلوّ منزلتها الروحية والعقلية في التصوّر الإسلامي: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران"(٤).

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عدها من النساء الكاملات اللاتي كملن ولم يكمل من النساء إلا قليل كما قال: " كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"(٥)، وقال تعالى: ((جَعَلْنَاهَا

---

(١) ينظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: د.صلاح الخالدي،ج١، دار القلم دمشق٤/١٨٨/١٩١.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٣.

(٣) أخرجه النسائي(٨٥٨٠) وابن حبان(٧١٢٠) والحاكم (٣٧٧١) وأحمد(٢٧٨٧،٢٥٧١).

(٤) أخرجه البخاري(٣٤١١) ومسلم(٢٤٣١).

(٥) متفق عليه، صحيح البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)،[٦] وكان هذا الاصطفاء الإلهي وما اقترن به من تكريم وتفصيل في الذكر تمهيدًا لمريم عليها السلام لتكون أمًّا للمسيح عليه السلام.

المطلب الثاني: نسب وأسم عيسى عليه السلام ولقبه وكنيته في القرآن الكريم

هو سيدنا المسيح عيسى بن مريم بنت عمران عليه السلام، روحُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وآخرُ أنبياء بني إسرائيل؛ نسبه هو نسب أمه لأنه مولود من غير أب، فان الاسماء انما وضعت لتشرف صاحبها وتأتي غالبا من العظمة ومَن يختارهم الله لهداية البشر، فقد ذكر سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بالاسم واللقب والكنية، أحياناً معاً جميعاً أي: اللقب والاسم والكنية مثل **المسيح عيسى ابن مريم** أو اثنان من الثلاثة مثل: اللقب والكنية: المسيح ابن مريم أو الاسم والكنية عيسى ابن مريم وكل هذا جاء بعضها على جدة مثل الاسم عيسى، أو اللقب: المسيح، والكنية: ابن مريم: فلقد كان مجموع الألقاب والأسماء والكنى التي وردت في القرآن الكريم هو (٤٤) أربع وأربعون مرة.

فالاسم: (٢٥) خمسة وعشرون مرة، واللقب (١٠) مرات، والكنية (تسع) مرات: حيث يمكن ان نقسم حسب ما وردفي القرآن الكريم على النحو الاتي :

١- اللقب والاسم والكنية: ورد ذكر عيسى عليه السلام بصيغة «المسيح عيسى ابن مريم» ثلاث مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى في سور: البقرة (٨٧)، وآل عمران (٤٥)، والنساء (١٥٧)

٢- اللقب والكنية: ورد ذكر عيسى عليه السلام بصيغة «المسيح ابن مريم» خمس مرات في القرآن الكريم، وذلك في سورة المائدة في المواضع: (١٧) مرتين، و(٧٢)، و(٧٥)، وفي سورة التوبة (٣١).اللقب فقط لوحده أي (المسيح: مرتان: (النساء/١٧٢) و(المائدة ٧٢).

٣- الاسم والكنية: ورد ذكر عيسى عليه السلام بصيغة «عيسى ابن مريم» ثلاث عشرة (١٣) مرة في القرآن الكريم، وذلك في المواضع الآتية: البقرة (٨٧، ٢٥٣)، والمائدة (٤٦، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦)، ومريم (٣٤)، والأحزاب (٧)، والحديد (٢٧)، والصف (٤، ٦)

(٦) سورة االأنبياءالاية٩١.

٤- الاسم فقط: ورد ذكر عيسى عليه السلام بالاسم المفرد «عيسى» تسع (٩) مرات في القرآن الكريم، وذلك في المواضع الآتية: البقرة (١٣٦)، وآل عمران (٥٢، ٥٥، ٨٤) ـــــ مع تكرار الذكر في السورة نفسها ـــــ والنساء (١٦٣)، والأنعام (٨٥)، والشورى (١٣)، والزخرف (٦٣).

٥- الكنية فقط: ورد ذكر عيسى عليه السلام بصيغة «ابن مريم» مرةً واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى في سورة الزخرف (٥٧).[١]

١-تسمية سيدنا عيسى عليه السلام:

تمثّلت بشارة الولادة في إخبارٍ إلهيٍّ لمريم عليها السلام بأن يُولد لها غلامٌ يتّصف بمكانةٍ رفيعة في الدنيا والآخرة، ويكون من المقرّبين، ويكلّم الناس في المهد والكهولة، ويُعدّ من الصالحين، وذلك في سياقٍ يبرز اصطفاءه وخصوصية شأنه.قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)،[٢] وقد وردت هذه التسمية في القرآن الكريم خمسًا وعشرين (٢٥) مرة، كما سبق بيانه. ويُذكر أنّ اسم «عيسى» يُعدّ تعريبًا لاسم «يسوع» في العبرية، ويحمل دلالة لغوية تُفهم على معنى السيّد أو المُخلِّص. [٣]

٢-تسمية ابن مريم:

وتُعدّ هذه التسمية دلالةً واضحة على انتساب عيسى عليه السلام إلى أمه الطاهرة مريم بنت عمران، إذ نُسب إليها لكونه وُلد من غير أب. وقد وردت كنيته «ابن مريم» ثلاثًا وعشرين (٢٣) مرة في القرآن الكريم، وفي جميعها يُنسب عيسى عليه السلام إلى أمه. ويُلاحظ أنّ العرف السائد جرى على نسبة الولد إلى أبيه، غير أنّ هذا الخروج عن المألوف في النسبة يُفهم بوصفه إخبارًا قرآنيًا عن ولادته بغير أب، وبيانًا لخصوصية هذه الآية الإلهية، وما انطوت عليه من تكريمٍ لمريم عليها السلام واصطفاءٍ لها بهذه المكرمة العظيمة. [٤]

---

(١) ينظر: المصحف الرقمي الالكتروني مادة (عيسى) و(المسيح) و(ابن مريم).

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٥.

(٣) ينظر: حياة السيد المسيح في القرآن/٧٥، واولو العزم من الرسل/١٤٢.

(٤) تفسير الزمخشري ،المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تأليف: أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٩٧٧م)١/٤٣٠.

٣-تسمية المسيح:

فقد وردت عدة اقوال على تسميته منها: " إنه كان يمسح على المرضى فيشفيهم بإذن الله ـــــ إنه مسحت عنه الذنوب والرجس، أي ممسوح البدن من الأدناس والآثام ـــــ إنه مُسح بدهن زيت بورك فيه، وكان الأنبياء (عليهم السلام) يُمسحون به(١).

وقيل إنّما سُمّي عيسى عليه السلام «المسيح» لمسحه الأرض بسياحته فيها، وتنقّله هربًا بدينه من الفتن التي أحاطت به في ذلك العصر، نتيجة شدّة تكذيب اليهود له، وما وجّهوه من افتراءات عليه وعلى أمه مريم عليها السلام(٢).

الخاتمة

١-كانت شخصية المسيح أكثر الجدل الديني يدور عليه بين الأديان الثلاثة

٢-التفسيرات المسيحية لنصوص العهد القديم كثيرة جدًا. ولا توجد آية واحدة من العهد القديم لا تحتوي على إشارة إلى يسوع المسيح

٣-إن ولادة المسيح كانت بشارة من الله لعبادة الذين ضلوا بعد وفاة موسى عليه السلام

٤-لقد تكنى عيسى عليه السلام في الاناجيل بأسماء متعددة

٥- وردت كثر من الآيات الشريفة البشارات بقدوم سيدنا عيسى عليه السلام

٦-لا يكاد يوجد كتاب أدقُّ وصفًا لتاريخ المسيح عيسى وأمه مريم عليهما السلام من كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم

ومن التوصيات:

١- اعتماد المنهج المقارن المنضبط عند دراسة شخصية عيسى عليه السلام في اليهودية والمسيحية والإسلام، مع الالتزام بالفصل بين النصوص الأصلية والتأويلات اللاهوتية اللاحقة، وتجنّب إسقاط تصوّر ديني على آخر.

---

(١) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم/٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: قصص الأنبياء أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م،ص٤٤٨

٢- التمييز بين النصّ المقدّس والتفسير البشري في كل دين، ولا سيّما في ما يتعلّق بالأناجيل والتلمود وكتابات الآباء، مع مراعاة السياقات التاريخية والسياسية التي أثّرت في تشكّل هذه التفاسير.

٣- تعزيز الدراسات النقدية للنصوص من خلال تحليل مصادرها وتاريخ تدوينها وتطوّر مضامينها العقدية، بما يسهم في فهم أعمق لأسباب التباين في صورة عيسى عليه السلام بين الأديان الثلاثة.

٤- الاستفادة من الرؤية القرآنية في تقديم نموذج متوازن لشخصية عيسى عليه السلام، بوصفه نبيًا رسولًا مكرّمًا، مع إبراز خصوصية هذا التصوّر مقارنة بالتصوّرين اليهودي والمسيحي.

٥- تشجيع الحوار الأكاديمي بين الأديان القائم على البحث العلمي الرصين والاحترام المتبادل، بما يسهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتقريب وجهات النظر، والحدّ من القراءات المتشنّجة أو الجدلية غير المنهجية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- أحاديث أبي عروبة الحراني برواية أبي أحمد الحاكم: أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السُّلَمي الجَزَري الحرَّاني (المتوفى: ٣١٨هـ) المحقق: د عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، شركة الرياض – السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط :مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣- أديان العالم، د.هوستن سميث، حبيب سعيد، تعريب وتقديم: سعد رسم/ط٣/ النيسة الاسقفية، القاهرة، ٢٠٠٧.

٤- " انجيل لوقا ـــ أنجيل متى ـــــ انجيل مرقص ـــ انجيل يوحنا ".

٥- أولو العزم من الرسل، عمر احمد عمر/ دار حسان للطباعة والنشر، ج١/ ط١، ١٩٨٨ .

٦- الآيات والأحاديث والآثار العقدية الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام جمعا ودراسة، ابتهاج صالح فيرق، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ١٤٣٤هـ .

٧-تفسير الزمخشري ،المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تأليف: أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٩٧٧م).

٨-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٩-حياة السيد المسيح في القرآن الكريم، السيد حسين نجيب محمد (بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٢م).

١٠-حياة المسيح وتعاليمه، د.ديفيد هولدواي، شركة اوفست للطباعة، ٢٠٠٢م.

١١-دراسات في اليهودية والمسيحية: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي،مكتبة الرشد/ط٢/٢٠٠٣م.

١٢- " رسالة أفسس ـــ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ـــ رسالة رومية ـــ رسالة غلاطية ".

١٣-سفر المزامير.

١٤-سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المحقق : مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة ببيروت/ الطبعة : الخامسة ١٤٢٠هـ.

١٥-قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد: مطبعة دار التأليف – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٦-القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: د.صلاح الخالدي،ج١، دار القلم دمشق٤/١٨٨/١٩١.

١٧-المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين/٥٤-٥٥؛ وينظر: حقيقة اليهود، فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي (بلا ت).

١٨-المسيح في جميع الكتب، تأليف: أ.م.هودجكن (بيروت، دار منشورات التفسير، بلا ت)؛ والمسيح في الأعياد اليهودية، القمص روفائيل البرموسي، مراجعة: نيافة الأنبا إليسوذورس (دار نوبار للطباعة ، دير السيدة العذراء-برموس، ط١، ٢٠٠٤م).

١٩- المسيحية، د.أحمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة،ط١٠ ، ١٩٩٨.

٢٠- المصحف الرقمي الالكتروني مادة (عيسى) و(المسيح) و(ابن مريم).

٢١- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، سارة العبادي/ مكتبة الرشد، ط١/ ٢٠٠٥م.

٢٢- النصرانية في الميزان، المستشار محمد عزت الطهطاوي (دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٥م).

٢٣- الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، المحقق: عبد اللطيف هميم – ماهر ياسين الفحل الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.